العبرانيون السـود

عبد الحفيظ محارب

من بين ظواهر التمييز التي أخذت تتكشف وسط المجتمع الاسرائيلي وتبرز بشكل حاد ظاهرة « العبرانيين السود » التي تعبر بشكل واضح عن التمييز العنصري في اسرائيل. ولعل هذه الظاهرة قد فاقت برائحتها العنصرية كافة ظواهر التمييز العرقي والطائفي التي تبرز بين الفينة والاخرى بين الفئات المختلفة التي تشكل لبنة المجتمع الاسرائيلي . فهي تمتاز عن ظواهر التمييز العنصري التي تلف بعض فئـات المجتمـع الاسرائيلـي وشرائحه بعامل رئيسي يتمثل في لون بشرة « العبرانيين السـود » ، بينمـا أسبـاب الظواهر الاخرى تكمن في عدة عوامل من أهمها العامل الحضاري والاقتصادي والاثني والتاريخي . كمـا وتختلف ذيول وانعكاسات ظاهـرة العبرانيين السود عـن ذيول وانعكاسات ظواهر التمييز التي تعاني منها بعض الفئات في اسرائيل . ففي حين نرى ان ظاهرة التمييز التي يعاني منها أبناء الطوائف الشرقية تنعكس على المجتمع الاسرائيلي وعلى مجمل العلاقات بين الاشكناز والاسفارديم ضمن الاطار اليهودي في العالم ، نرى ان ظاهرة التمييز الموجهة ضد العبرانيين السود تنعكس بشكل رئيسي علـى العلاقات الاسرائيلية الافريقية وبشكل أعم على العلاقات الاسرائيلية مع الملونين في أنحاء العالم. وهنالك شيء آخر لا بد من الاشارة اليه قبل التعمق في دراسة العبرانيين السود ، وهو وجه الشبه الكبير بين طلائع المهاجرين اليهود البيض في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الذين قدموا الى فلسطين بحجة ان الرب قد منحها لهم ، وبين العبرانيين السود الذين قدموا الى فلسطين عند بداية الربع الاخير من القرن العشرين بحجة ان الاله قد منحها لهم أيضا !

من هم العبرانيون السود ؟

قدمت الى اسرائيل خلال الاعوام الثلاثـة الماضية بضعـة مجموعات من اليهـود الافروأميركان حسب قانون العودة لعام ١٩٥٠ الذي يمنح كل يهودي الحق في الهجرة و « العودة » الى اسرائيل . وقد تشكلت المجموعة الاولى من ٢٨ شخصا مـن مواليد شيكاغو في الولايات المتحدة وصلت الى مطار اللد في النصف الثاني من شهر ديسمبر ١٩٦٩ ، بعد أن مكثت في ليبريا ثلاث سنوات . وكان قد سبق مجيء هذه المجموعة قدوم بضعة أفراد من أبناء الطائفة بموجب قانون العودة ، واستوعبوا في كيبوتس ديني . ثم أعقبت الموجة الاولى من هؤلاء المهاجرين موجة ثانيـة وثالثة ، الا أن دائرة الهجـرة والاستيعاب الاسرائيلية وضعت العراقيل امامهم ولم تعتن بهم ، ومن هنا بدأت تبرز قضية « العبرانيين السود » التي بلغت ذروتها عندما اتخذت السلطات الاسرائيلية قرارا بطرد بعض المجموعات العبرية السوداء ، ومنع مجموعات أخرى مـن الوصول الى اسرائيل . وكان الدافع وراء هذا القرار تخوف السلطات الاسرائيلية من تزايد عـدد العبرانيين السود ، الامر الذي من شأنه أن يخلق مشاكل عنصرية في المجتمع الجديد المليء بالتناقضات الطائفية والاجتماعية ، ويؤدي بالتالي الى ترجيح كفة السلبيات على